مستقبل المنطقة العربية في خريطة العلاقات الدولية على ضوء أزمة فيروس كورونا

فاطمة لمحرحر

باحثة في الدراسات السياسية والعلاقات الدولية

كلية الحقوق فاس – المغرب

ثمة قيمة عملية للبحث في الآثار المستقبلية المحتملة لأزمة تفشي فيروس كورونا، هذه الأزمة التي بدأت في فترة تشهد فيها بنية العلاقات الدولية تحولات مهمة، ومنافسة استراتيجية كبيرة بين القوى العظمى، من شأنها إدخال مفاهيم أو نظريات جديدة على مستوى التحليل وإبراز مجموعة من الفواعل والظواهر السياسية الجديدة على مستوى الممارسة.

بالإضافة إلى ذلك، تضع هذه الجائحة الدول العربية والنظام الإقليمي برمته أمام هزات أمنية وسياسية واقتصادية متعاظمة، فأغلب دول المنطقة تعاني انقسامات سياسية وصراعات عسكرية، وفي هذا السياق، يأتي فيروس كورونا ليزيد من معاناة الدول العربية ويرفع من الكلفة الاقتصادية في منطقة تشهد اضطرابات جيوسياسية مستمرة، وتعرف بهشاشة أنظمة الأمان الاقتصادي والاجتماعي فيها.

وهو ما سيكون له تأثير على البنية الهيكلية للنظام الإقليمي العربي، حيث سيعرف هذا الأخير العديد من المتغيرات، نتيجة تزايد الضغوطات المالية والاقتصادية والاجتماعية والجيواستراتيجية داخل المنطقة.

ومن الملاحظ أن نظام توازن القوى في المنطقة العربية تعرض للتهديد المستمر، وهو ما جعله لا يتصف بالاستقرار وإنما بالتحول والتغير، وذلك بفضل التوازنات التي تفرضها التفاعلات الدولية والإقليمية[1] ، بالنظر للأهمية الجيوسياسية للمنطقة.

يبدو واضحا مدى التأثير الذي خلفه فيروس كورونا على مختلف نواحي الحياة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية، فدول بأكملها شلت حركتها وأغلقت حدودها واقتصادات عالمية تراجعت؛ ومما لا شك فيه أن تأثير هذا الوباء على المنطقة العربية سيكون له بعدا خاصا بالنظر لما تمر به هذه الرقعة من العالم من حالات صراع طائفية ومذهبية وانتشار مخاطر التطرف والإرهاب، علاوة على تزايد التنافس السياسي والعسكري بين القوى الإقليمية الكبرى.

وعليه، ساهمت كل هذه العوامل وغيرها بأن تدفعني لأخذ غمار البحث في هذا الموضوع، لما سببته وستسببه أزمة كورونا من تداعيات مختلفة على طبيعة الوضع الجيواستراتيجي، واحتمالية تغييرها لبعض موازين القوى في المنطقة.

1 علي فايز يوسف الدلابيج، توازن القوى وأثره في الشرق الأوسط بعد الاحتلال الأمريكي للعراق، رسالة للحصول على الماجستير في العلوم السياسية، كلية الآداب والعلوم، جامعة الشرق الأوسط، 2011، ص.1.

وبالتالي، سأحاول من خلال هذه الورقة ما مدى تأثير الأزمة الصحية على مستقبل المنطقة العربية في خريطة العلاقات الدولية؟ دراسة الخيارات الممكنة في التعامل مع هذه الأزمة وردود أفعال الحكومات، ومحاولة فهم وتحليل السياق الإقليمي. والسيناريوهات المحتملة على المديين القريب والبعيد على مستقبل المنطقة العربية، ما سيشكل منطلقا مهما في تأطير وبلورة أسس علمية للتعاون بين دول المنطقة لمواجهة مختلف أبعاد الأزمة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والجيواستراتيجية.

تأثير كوفيد 19 على المنطقة العربية، فرصة لإعادة البناء

تمر البشرية اليوم بأزمة عميقة، فقد أثار وباء كورونا حالة من الذعر الهائل شلت الهياكل الاقتصادية والسياسية والاجتماعية؛ ما جعله يشكل اختبارا للعالم وقدرته على التعاون، إذ كشف تفشي هذا الفيروس الذي صنف كأخطر الأوبئة العالمية ومن أشدها فتكا بالإنسان بالنظر لسرعة انتشاره، عن تصدعات خطيرة ومكامن ضعف كثيرة في المجتمعات والمؤسسات والاقتصادات في جميع أنحاء العالم.

ومن المؤكد أن العالم العربي الممحون بالأزمات السياسية والاقتصادية، كان له نصيب من التأثيرات الناتجة عن جائحة كورونا[2] ، فبحسب التقديرات الأولية لآثار هذه الجائحة، من المتوقع أن تخسر المنطقة العربية التي تضم 436 مليون نسمة ما لا يقل عن 42 مليار دولار[3] ، في ظل اتساع رقعة الوباء في الدول الأوروبية والولايات المتحدة والصين وغيرها من الاقتصادات الكبرى.

وفي هذا السياق، نستطيع القول أن جائحة كورونا ستفرض على الدول العربية تحديات اقتصادية مرتبطة بقوة التحمل الداخلي لكل اقتصاد، والتي تمثل عاملا حاسما في تعافيه من أي أزمة، ولاسيما على صعيد حركة التجارة وتأثيرها السلبي على حركة رؤوس الأموال وهو ما يشكل مصدرا رئيسيا لتهديد مقومات نمو الاقتصادات النامية والصاعدة[4] .

وانسجاما مع هذا المنطق، وفي ظل انتشار العنف والصراع وعدم المساواة بأوجهها المختلفة والبطالة والفقر وتداعي شبكات الأمان الاجتماعي، وتزايد دواعي القلق بشأن حقوق الإنسان ونقص إمكانات الاستجابة في المؤسسات ونظم الحكامة، يرجح أن تكون تبعات الوباء بالغة وطويلة الأمد[5] .

إضافة إلى ذلك، فالنمو الاقتصادي في المنطقة العربية معرض لتقلبات أسعار النفط الدولية، فالبلدان الغنية بالنفط تتأثر مباشرة بتقلبات أسعار النفط، وهنا برز أكبر ضرر اقتصادي في الدول التي تعتمد على الاقتصادات الصينية والكورية والإيطالية لكونها الاقتصادات الأكثر تضررا صحيا من الفيروس[6] .

ونتيجة لقلة التنوع في الاقتصادات العربية وضعف اندماجها في سلاسل القيمة العالمية، ستفقد هذه الاقتصادات فرصا لزيادة نموها ما يجعلها عرضة لانخفاض أسعار النفط وتراجع التحويلات المالية [7].

ولا نبالغ إذا زعمنا أن كوفيد19 كشف عن مدى عمق إشكالات المنطقة المتراكمة، فهذا الفيروس يمثل عامل تهديد كبير لاقتصادات تعتمد في إيراداتها على تصدير السلع الأولية والمواد الطاقية؛ إلى جانب ذلك أثرت الأزمة بشكل كبير على القطاع السياحي، بعد أن تسبب فيروس كورونا في تقييد حركة السفر وإلغاء العديد من الأشخاص لخطط السفر الخاصة بهم، مما

2 رفيق عبد السلام، " العالم العربي في مرحلة ما بعد كورونا.. إلى أين؟"، مركز الجزيرة للدراسات، ماي 2020، www.studies.aljazeera.net، (20 غشت 2020).

3 Policy brief: The impact of Covid-19 on the Arab Region an opportunity to build back better, United Nations, july 2020, www.un.org, p.2.

4 صلاح، " تسطيح المنحنى: كيف تتأثر اقتصادات الشرق الأوسط إذا استمرت أزمة كورونا"، المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، يونيو 2020، 24، www.futureuae.com يوليوز 2020.

5 Policy brief: The impact of Covid-19 on the Arab Region an opportunity to build back better, op.cit.,p.2.

6 عمر العبيدلي/ غادة عبد الله، "تداعيات أزمة كورونا: نظرة اقتصادية"، دراسات، مركز البحرين للدراسات الاستراتيجية والدولية والطاقة، أبريل 2020، ص.3.

7 كوفيد 19 والمنطقة العربية، فرصة لإعادة البناء على نحو أفضل، الأمم المتحدة، يوليوز 2020، ص.17.

أدى إلى حدوث انكماش سيكون حادا قد تمتد آثاره لعقود قادمة.

ومن هنا تتأكد الحاجة إلى ضرورة عمل الدول العربية على تنويع اقتصاداتها، حتى تستطيع تحمل صدامات مماثلة في المستقبل؛ هذا، وسيكون للأزمة الأثر الأكبر على التموضعات الجيواستراتيجية والمساهمة الفعلية في تغير الكثير من موازين القوى في المنطقة.

ما بعد كورونا...نحو نظام عربي جديد

إن كوفيد19 يعمل كمسرع للتاريخ ومضخم للاتجاهات الموجودة مسبقا، وعليه فإن الفترة المقبلة ستكون حافلة بالمتغيرات المختلفة، مما يتطلب من الدول العربية تفعيل أكبر للآليات الدبلوماسية وإيجاد حلول للمشكلات والأزمات التي تعرفها المنطقة بأسرع وقت ممكن.

وهكذا يمكن للمنطقة العربية أن تغتنم فرصة التصدي للجائحة، لإعادة التفكير في بناء السلام في المنطقة من خلال العمل على فتح آفاق جديدة للتعاون الإقليمي، وتكريس نوع من البراغماتية سواء اتجاه العلاقات الثنائية القائمة على الضرورة أو المتعددة الأطراف القائمة على المصلحة المشتركة؛ وبالتالي تطوير آليات جديدة للتحالف بناء على ما تعرفه السياسية الدولية من تطورات.

وبالإضافة إلى ذلك، سيساعد بناء تعاون إقليمي عربي على معالجة العديد من مكامن الضعف العابرة للحدود التي لطالما عانت منها المنطقة العربية[8]، بمنح روح جديدة لجامعة الدول العربية التي توفر آليات للعمل المتضافر بين الحكومات العربية، من خلال مختلف أجهزتها التي تشمل، مؤتمر قمة قادة الدول العربية والمجلس الاقتصادي والاجتماعي؛ كما أن الوضعية الحالية التي تعيشها المنطقة من صراعات ونزعات مسلحة، وبالنظر إلى السياق الدولي المليء بالتحديات والتحولات، تفرض على الدول العربية ضرورة تجديد الالتزام بالتعاون المشترك داخل جامعة الدول العربية، خاصة مع العجز والارتباك الذي أبانته عن المؤسسات الدولية.

إلى جانب ذلك، أثبت أزمة كورونا أن الاكتفاء الذاتي المحلي أصبح أمرا ضروريا، فالدول التي لديها بنية تحتية قوية في الصحة والزراعة والتعليم وغير ذلك، كانت أقدر على المواجهة[9] ، وبالتالي فالأزمة يمكن أن تفتح فرصا جديدة للتفكير بالتحول نحو التكنولوجيا الحديثة والصناعات الصحية والزراعية لتحقيق الاكتفاء الذاتي، ومحاولة إعادة النظر في السياسات الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

وأخير يمكننا القول أن المنطقة العربية، وفي سياق ما أبانت عنه أزمة فيروس كورونا من ضعف وتخلف، يتطلب الاسراع في تفعيل الآليات الدبلوماسية ومحاولة أنهاء الصراعات التي تعاني منها الدول العربية؛ إضافة إلى إعادة النظر في النموذج الاقتصادي وتوجيهه نحو قطاعات اقتصادية استراتيجية، والاستثمار في الرأسمال البشري، فهنا تكمن فرصة المنطقة العربية للإقلاع في ظل بيئة عالمية تنافسية.

وعلى العموم، فالمرحلة الحالية تمنح فرصة أكبر لدول المنطقة للتحرر نسبيا من القيود المفروضة عليها والاستفادة جيوسياسيا وبناء نظام إقليمي متكامل.

لائحة المراجع:

- علي فايز يوسف الدلابيج، توازن القوى وأثره في الشرق الأوسط بعد الاحتلال الأمريكي للعراق، رسالة للحصول على الماجستير في العلوم السياسية، كلية الآداب والعلوم، جامعة الشرق الأوسط، 2011، ص. 1.

- رفيق عبد السلام، " العالم العربي في مرحلة ما بعد كورونا.. إلى أين؟"، مركز الجزيرة للدراسات، ماي 2020، www.studies.aljazeera.net، (20 غشت 2020).

8 كوفيد 19 والمنطقة العربية، فرصة لإعادة البناء على نحو أفضل، مرجع سابق، ص.22.

9 محمود الرنتسي، "الدبلوماسية التركية تجاه النظام الدولي أثناء وبعد جائحة كورونا"، ادراك للدراسات والاستشارات، ماي 2020، ص.11.

- علي صلاح، " تسطيح المنحنى: كيف تتأثر اقتصادات الشرق الأوسط إذا استمرت أزمة كورونا"، المستقبل للأبحاث والدراسات المتقدمة، يونيو 2020، 24 يوليوز www.futureuae.com، 2020.

- عمر العبيدلي/ غادة عبد الله، "تداعيات أزمة كورونا: نظرة اقتصادية"، دراسات، مركز البحرين للدراسات الاستراتيجية والدولية والطاقة، أبريل 2020.

- كوفيد 19 والمنطقة العربية، فرصة لإعادة البناء على نحو أفضل، الأمم المتحدة، يوليوز 2020.

- محمود الرنتسي، "الدبلوماسية التركية تجاه النظام الدولي أثناء وبعد جائحة كورونا"، ادراك للدراسات والاستشارات، ماي 2020.

- Policy brief: The impact of Covid-19 on the Arab Region an opportunity to build back better, United Nations, july 2020, www.un.org.

- Regional emergency response, to mitigate the impact of COVID- 19, United Nations, Escwa, 2020, www.unescwa.org.